تحطيم الأصنام

(محاولة في صحو)

جمال علي الحلاق

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة الأدب العراقي المعاصر

تحطيم الاصنام

محاولة في الصحو

جمال علي الحلاق

بغداد ٢٠٠٠

الى

السموات

والارض

مكتبة
الفكر
الجديد

-١-

فلننسف

هذا الصدأ المتراكم

فوق جلودنا

الذي اغلق مسامات اتصالنا

بالعالم الحقيقي

عالم ما وراء الاسماء والمحددات

عالم البداية الاولى

حيث كل شيء

يجري على سجيته

يمثل ذاته

ولاشيء ســواها

حيث اصابع الكل بريئة

من العار .

-٢-

ايتها المرأة

كنتُ طفلا الى النهاية

أتحدثَ

كما لو اتني خارج الدائرة

رغم انني

لا زلتُ في الحلبة

وعليَّ ان اخوض اشواطا اخرى

اكون فيها

اكثر ودا وطفولية

وعليّ قبل كل شيء

ان انحني

كي لا افوّتَ عليكِ

فرصة التسلق

لا عليّ

بل

الي

أنتِ قضيتي

حاولي اذن

ان تمنحيني فرصة الاعتراف

انا المدان

فلماذا لا ندع الاوراق

تسقط

قبل الخريف؟

انا نائب الرجال

منذ البداية الاولى

الى النهاية الاخيرة

كوني اذن كلَّ النساء

و على الارض كلّها

سامدٌ يدي ،

لا لأنتشالكِ ،

انا ايضا

ساقط في الاعالي

سأمدَ يدي

لا للتصافح فقط

للمباركة ايضا

ليبارك كلٌ منا الاخر

في لحظة صحو

علينا

ان نتحمل وزرها معا .

-٣-

هاهي ذي

حلقة الالف السادس

تلتف كأفعى

ولا اراكِ الى جواري

ولا اجرؤ ايضا

انا اراكِ الى جواري

كما لو انني احتكرتُ الخلق كلَّه

كما لو انك لم تخلقي بعد

كما لو انك وهم اتشبث به

لأَنفي عني قسوتي وغطرستي ،

على طول التاريخ

ارى اجنة لا تكتمل

اجنة مجهضة

معبأة باحماض في المتاحف

كما لو انها غير قابلة للتكامل

كما لو انها لن تولد ابدا .

احذري من الانتظار والترقب

فمني

ابدا لن تولدي

الانسان يا سيدتي

لا يولد الا من نفسه

لستِ ضلعا ناقصا (كما تقول الاديان)

ولستِ كائنا مخترقا (كما تقول الطبيعة)

كلنا قائم بذاته

دعِ عنكِ هذا الظاهر الزائف

فانا انا

وانا امي

وانا ابي .

لقد اوهمناكِ بالجزئية

وسرقنا الكلّية

الكلّية التي لن تكتمل

الا باحتوائكِ كجزء

وها أنا

بعد ستة الاف سنة على التدوين

اتعجبَ

كيف تستهويكِ

لعبة قذرة كهذه الان ؟

لن اغازلك بـــ(يا ضلعي الناقص)

يا ضلعي السليب

لا بدافع الرحمة كما اوهمناكِ

انها الرغبة في الاحتواء

وراقت لكِ الرحمة

وتغلف بها الاحتواء

لقد احكمنا الطوق عليكِ

شرائع سماوية

اعراف وتقاليد

قوانين وضعية

دائما كانتِ وصمة الرجل او شرفه

كنتِ الجزء الاكثر خطورة في حياته

لكن

من زاوية تافهة جدا

كان عليه

ان يكون حارسا الى النهاية

وان تكوني

في قمقمه الى القبر

نظرة تافهة

اضاعت حياة الاثنين معا

مغفلا كان

وبائسة كنتِ .

-٤-

كل تحديد نسيان

تغليف يقصي الوجه الاخر

الحقيقة الاخرى

جريان في اتجاه واحد

والاقفال على الممكنات الاخرى

بل ان ممارستها اثم

وخروج على جماعة القطيع

كم اضعنا على طريق الحياة

امكانيات فينا

دفناها معا

تحت تراب مفاهيم عفنة ؟

ايتها الغيرة

يا عفونة العقل منذ الازل

ينبغي قلع أضافرك .

ايها التسلط

يا رعونة الحيوان

ينبغي صلبك

على كل اعمدة العالم

كم اشعر بالخزي

تجاه اللواتى متن

او الذين ماتوا

قبل ان افتح صدري هكذا

كما لو انني

احمل وزر الخليقة كلّها .

لقد مررنا معا

بسنين طوال وقصار

في نفق اضعواني

لا راس له و لا ذنب

في جوف الافعى

كنتُ دائما

اكتب لكِ

وتقرأين سلطتي

كنتُ الحي الذي لا يموت

وكنتِ الجنين الذي لا يكتمل

انا الطاغية

لكن

من اين لكِ

هذه القدرة على التخاذل ؟

نحن الرجال

اتقنا اللعبة جيدا

لكن

انتِ من ساعدنا

على هذا الاتقان

ينبغي الانتباه سيدتي

((عظمة المرأة بطاعتها الرجل))

هكذا غلفنا اللعبة كلّها

وانحنيتِ للتغليف

اصبح الرجل محيطا

وانتِ في الدائرة

او همناكِ بالمركزية

وبطوفاننا حول المركز

واغفلنا عنكِ

ان المحيط

ابعد نقطة عن المركز

كنا نكتب سلطتنا

ونقرأها من الزاوية

التي تروق لك

كنتِ غفلا سيدتي .

-٥-

لازال الخريف بعيدا

فلنمارس معا

لذة اسقاط الاوراق

يمكن للبناية ان يعاد ترميمها

باسقاطها تماما

فلتتجرد الاغصان

إلا من انتصابها

لا يمكن التحدث عنكِ

او معكِ

بلغة يابسة

يا من تحيطين الشعر

الا الشارد منه

المتاقلم مع ذاته

هل كنتِ قريبة مني حقا ؟

لماذا تصرين

على ان تكوني في الاطار

الذي اصنعه لكِ؟

الذي يؤطرني ايضا؟

لستِ لوحة

نعلقها على جدران الذات

ولا صليبا

ولا مأذنة

ينبغي الاقتراب منكِ

منكِ انتِ

لامني

كوني قريبة منكِ

عندها فقط

سأجدني الى جـــوارك

لا كأطار

بل كلون

يرفرف عاليا في العمق

حيث التوهج اكثر التصاقا بالذات

وحيث تكونين

اوسع من اطار

لن تكوني خلفي

عليك التخلص

من (وراء كل عظيم)

لماذا

انا العظيم دائما

والكواليس لك ؟

كم تبدو الكواليس

قريبة من الكوابيس

في نظري على الاقل ؟!! .

-٦-

الآنَ رواية التاريخ سلطة

الآنَ السلطة قسوة

الآنَ المراة ليونة

التاريخ لم تروه امراة ؟

رغم ان الليونة

اقرب الى الاحتمال

والاحتمال اقرب الى الحقيقة

فلماذا

والمرأة اجدر

بجعل التاريخ اكثر انسيابية

من هذه الانجمادات الحاده

أفرِغَتِ اللوحةُ

من ضربات فرشاتها ؟!

كم ستبدو حدة الرجل لينة

داخل رواية المرأة للتاريخ ؟

ستحركه العاطفة

لا المجرد المحلّق

وسيبدو اكثر واقعية

في اسطوريّته
لماذا حشونا اذاننا بالقطن
واطلقنا العنان لاعيننا
تركض على شفاهكِ المتموجة ؟
وأين كنتِ ؟
أين كنتِ ؟
على المسرح الكبير حياتنا
اكتفيتِ بالظل
كومبارسا مثلا
ربما قطعة اثاث
المائدة
الاريكة
السرير
كلانا على السرير
لكننا جردناكِ تماما
لامِنَ الثياب
خلعنا ذاتكِ
حقكِ في الرؤيا
والنظر الى الاشياء

جردناكِ من الرأي
او همناكِ بقصور عقلكِ
وجعلناكِ عاطفة هوجاء
لغرائزكِ
سلطة توجيهكِ،ومنحناكِ السرير كلّه
هذه المساحة الضيقة
حدود الفراش اقاصيكِ القصوى
جعلنا الفراش كونا
وانتِ مجرة في هذا الكون
الفراش محرابك
وانوثتكِ طوطم فيه .
بينما كان العالم اللامتناهي سريري
وكنتِ وسادة واحدة
بين اخريات كثر
اضع عليها افكاري احيانا !!!
لم تكني معي دائما
انتبهي رجاء
حينما اكون مجوفا
بلا اتجاه

او حين اسقط
في فخ الوصول والانتهاء
ويجرني سريركِ الضيق .
الوصول فراغ جديد
والفراغ وحده
هذا الذي يتعالى كابراج
في لحظات بعينها
يجعلكِ تضيئين
كما لو انكِ مرسى
يمكن التوجه اليه
او الركون فيه .
احذري من امتلائي
لن تكوني قضيتي الى النهاية
سأصل
وعند ذاك
أُغيّرُ اتجاهي
حالما ادخل الجنة
انحرف
اتجاه الجحيم .

-٧-

انتِ معيار حقيقيتي

لاأمام لرجل

لا تقف صاحبته

الى جواره

في الصورة

لكنني ايضا

بحاجة دائما

الى صديقة

صاحبة

خليلة

لاطوقا و لا اساور

بحاجة الى احتضان

لا الى بيت ينبح

و عليّ

ان اختلس دخولي فيه

او خروجي منه

انا قاسٍ جدا

لكنني اُريدكِ

لهذا فقط

عليَّ ان انبح

بصوت عال

[ينبغي الانتباه

رجاء".]

-٨-

ليس ثمه ميتافيزيقيا على الاطلاق
لقد افترضنا عالما ماورائيا
واقحمناه عالمنا
حتى اصبح الواقع ماورائيا
نحن تجسيد لافكار ماورائية
فكرة الرجل
فكرة المرأة
فكرة الحصان
او الحمار
او البقرة
كلّ شيء ليس في مكانه تماما
لماذا الحصان يسحب العربة
وليس الاسد ؟
لقد سرقنا وجود الحصان
سرقنا وجود كل الكائنات
التي خضعت لارادتنا
كذلك سرقنا وجودكِ سيدتي .
الحضارة تحيل العمال على التقاعد

والحمار اقدم عامل على الارض

لذا سيكون اول المتقاعدين

سيعرض في الحقول

والمتاحف

كخادم كبير

افرغ وجوده باكمله

لرفاهية الانسان

غير ان الرجل يقدر ان يتنازل عن عرشه

كسيد للحيوانات

لكنه ابدا"

لايتنازل عن وهمه الكبير

كسيد لهذا الكائن الانساني الدفين /انتِ

فعليكِ

قبل أي كائن اخر

تقع

مسؤولية اطلاق سراحكِ

مدي يديك اذن

فالحياة

على الشكل الذي ورثناه

مهزلة كبرى

ومأساة

ينبغي قلعها

من

الجذور .

لنسكن معا خارج اطار العقد

لا الفوضى اريد

الحرية فقط

الرغبة / الذات

خارج الفروض

خارج البيع والشراء

حيث احبكِ بلا ميزان منحرف

العقد انحراف لي

لاحياد

لامساواة

افراط في التنازل

او همناكِ بربة البيت

واخذنا ربوبية العالم

العالم محيط

البيت نقطة في دائرته
هكذا سرقنا الربوبية كلها
لاقرار إلا لنا
وبعد أن رددتِ قسم الولاء
أمام قانونا الذكوري
من هناك
من البداية الاولى
اصبح انضواؤكِ لارادتنا
وجوبا .
تأمليني
تاملي طوطمكِ المدلل
كيف يغرز دبابيسه
في الجسد الرخو
جسدكِ ؟!

-٩-

مالذي جعل العالم ذكوريا الىهذا الحد ؟

هل هي الملكية

كما قال ماركس ؟

ام انها انضواء الانثى ذاتها

تحت هيمنة الذكر ؟

بماذا نبرر هيمنة الذكر في الحيوانات ؟

لا قطيع

لاسرب

الا وله ذكر قائد

هل هي الاسياد والعبيد ؟

او الضعيف والقوي

كما قال نيتشه ؟

ولكن الكائن الانساني

بذكره وانثاه

يتأى بجوهرته الثمينة / العقل

عن الانضواء

تحت راية القانون الطبيعي

فلماذا نقلد الحيوان

ولا نقلد العقل ؟

كيف ورثتنا ذكورية العالم الحيواني ؟

هل هو النسب القديم

الذي اخرجه داروين ؟

لماذا نصرّ اذن

على نفي انتسابنا للحيوان

وتعجبنا هيمنة الذكور فيها

فنتخذها قانونا حياتيا؟

-١٠-

بماذا نبرر ذكورية الاديان ؟

المجتمع الذكوري يخلق الهة ذكورا"

ثمة اله ذكر دائما

يهيمن على الالهة

والعالم معا"

انو / وادي الرافدين

اوزيريس/ وادي النيل

زيوس/اليونان

جوبيتر / الرومان

هبل /الجزيرة العربية

نحن ايضا

نصرُّ

على انه (هو)الله

ونضخم الـ(هو)

ولا يجرؤ احد منا

على ان يقول (هي) الله

رغم ان الله في الفكر الاسلامي

ليس بذكر

وليس بانثى

بل (ليس كمثله شيء)

والقرأن ذكر

هو الفرقان والكتاب ايضا

ستتضوي في داخله

السوَر

والايات .

والرسول ذكر

والملائكة ذكور كلّهم

هذا هو المحيط

وما سواه فمنضوٍ

كالدنيا والاخرة

والجنة والنار

والارض والسماء

والحور العين

كل ما ليس له اراده ،

مصبوغ بالانوثة .

لا كالعرش و الميزان

او كالحساب و الثواب و العقاب

التي تلتصق مباشرة بالارادة .

لماذا هذا الشعور بالخزي

من الاتهام بالانوثة ؟

وكيف نفسر الالتفاف حولها

وتفريغها من كل ارادة ؟

هل هي اخلاق الرجل

الذي نَصَّبَ نفسه صنما

وعلى المرأة ان تذبح ذاتها

قربانا له

وان تتمرغ

تحت اقدام تمثاله المتعالي

حدّ احتواء العالم

العالم الذي تقمص شخصيه الذكر

بل كما لو انه

اطراف الرجل السفلى و العليا

امتداد لجسد الرجل

يتماهى معه

فيؤلفان انسجاما خارقا للمألوف ؟

هكذا هيمنت اخلاقا الصنم الذكري

الصنم الظاهر

المختفي وراء اقنعة اخرى

اقنعة الما وراء

التي خلقها الرجل

لتبرر له طغيانه

او خلقتها المرأة

لتبرر خضوعها و انضوائها وتلاشيها .

-١١-

ثمة يد خفيه
تسربت الى كل النوافذ
واغلقتها
كان عليكِ ان تتحسسيها
ان تتكوري كقنفذ
وتتدحرجي
على مساماة هذا العالم
لستُ ضد التسمية
لكنها يجب ان تاتي من هناك
من الكائن الانساني
المتعالي على الذكر والانثى
التسمية تهب السلطة
وتهب العبودية
تضع الكائن في قالب
تغرقه في الاسم
هذا السجن الضيّق
حتى لو كان (سماء") او (عالما")
الاسم يجعل الـ(عالم) محدودا"

يجعله محتوى .

اسميناكِ انثى

والانوثة ليونة

لستُ ضدّ التسمية

سانحني لانوثتكِ

وسافعل دائما

كا مايجعلكِ تطفحين بها

لكنني ايضا

ضدّ ان تعني الانوثة

الخضوع او الانضواء

او الانسحاب تماما من الحلبة

تقي سيدتي

انسحابكِ

اورث العالم هذا الويل

نادرا ماكان حورا بين عقلين

كانشتين ونيلزبور

وغالبا ماكان حوارا" بقرنين

وانياب تُنشَبُ سرا" وعلانية

بشع عالم الذكور بغيركِ .

وانت ترقصين كنار
تختزلين العالم ،
ونظرتي تنضج ثمار انوثتك
ولكنني اريدك ايضا
ليس تحتي او وراني
اريدك كائنا انسانيا
الى جواري
ولتكوني لينة الى النهاية .
صعبة هي الكتابة عنكِ
انتِ حضارة ايضا
حضارة ملغاة
او تسكن على حاشية هامش العالم
العالم الذي لايمكن ان يكون
إلابكِ .
من رحمكِ
تولد النجوم
والمقابر
انتِ باب العالم
فلماذا ينغلق العالم عليكِ ؟
لماذا لا اراكِ
وانتِ في الاشياء كلها ؟

صدر للمؤلف

١. يرتكب التفكير لاحقا – شعر – ١٩٩٣ .

٢. صعادات – شعر – ١٩٩٧ .

٣. الرؤيا الان – بيان شعري مشترك – ١٩٩٧ .

٤. خارج على العقل ١٩٩٨ .

٥. تقدم أيها الخرف ١٩٩٩ .

بغداد
مكتب بريد باب المعظم
ص .ب : ٥٣٨٠٢
جمال علي الحلاق